دور المرأة الإندلسية وإسهاماتها في الحياة العلمية دراسة في مرويات الإجازة والسماع من خلال كتب التراجم

م.م اشرف كريم بادي

جامعه القادسيه /كليه التربيه

Ashraf.badi@qu.edu.iq

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٦/٩/١٥

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٦/٩/٢٩

الملخص

نالت المراة مكانة عظيمة في الحياة العملية في الأندلس والتي كانت تعنى في دراسة من قبل كتب تراجم فيما يخص أن الاندلس عرفت منذ عصر الإمارة إلى سقوط غرناطة تطور في النهضة العلمية والثقافية

بشكل واسع حيث شاركت فيها المرأة الى جانب الرجل فتلقت اعلى مراحل العلم بل تجاوز بعضهن الى مرتبة الرواية والإسناد والتحديث حتى أفردت لهن كتب التراجم والطبقات تراجم مستقلة تُثبت أسماءهن ضمن سلاسل النقل العلمي.

واضهر في المرويات الإجازة والسماع أهمية خاصة في هذا السياق كونها تمثل الوثيقة حقيقة لمشاركة المرأة الأندلسية في حركة النقل العلمي،حيث تفوق "المرأة الأندلسية" دون تحليل معمق لمرويات الإجازة والسماع بوصفها مصدراً أولياً يوثق هذا التفوق حيث اعتمد هذا البحث في جمع مادته العلمية على عدد من أمهات كتب التراجم والتاريخ الأندلسي التي تعد من أوثق المصادر في هذا الباب وأبرزها:"جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس للحميدي والصلة في تاريخ أئمة الأندلس للحافظ ابن بشكوال والتكملة لكتاب الصلة للحافظ ابن الأبار و نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للتلمساني و الإحاطة في أخبار غرناطة وبغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس للضبي و الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام "وقد جرى الاعتماد على هذه المصادر مجتمعة في استقصاء نماذج من العالمات والراويات والمجازات ومحاولة توظيف ما ورد فيها من عبارات الإجازة والسماع للوقوف على طبيعة حضور المرأة في هذا الميدان.

الكلمات المفتاحية: المرأة الأندلسية ، دور المرأة في الأندلس، الحياة العلمية في الأندلس ، الإجازة العلمية ،السماع في الحديث ، مرويات الإجازة والسماع ،كتب التراجم

The role of Andalusian women and their contributions to scientific life, studying in the narrations of leave and hearing through translation books

Assist .Lec. Ashraf Kareem Badi
College of Eduction / University of Qadisiyah
Ashraf.badi@qu.edu.iq

Date received: 15/9/2026
Acceptance date: 29/9/2026

Abstract

The role of women in the scientific life of Al-Andalus is an important subject addressed in biographical dictionaries. From the era of the Emirate until the fall of Granada, Al-Andalus witnessed a broad scientific and cultural renaissance in which women participated alongside men — receiving instruction from scholars, and in some cases attaining the rank of transmitter (*riwāyah*) and holder of chains of authority (*isnād*), to the extent that biographical works devoted independent entries to them within the chains of scholarly transmission.

The narrations of *ijāzah* (license to transmit) and *samāʿ* (audition of a text) are of particular importance here, as they document Andalusian women's participation in scholarly transmission — yet without deeper analysis of these narrations as a primary source for this excellence. This research draws on several major works of Andalusian biography and history, most notably:

• *Nafḥ al-Ṭīb* by al-Maqqarī (al-Tilimsānī)

• *Al-Iḥāṭah fī Akhbār Gharnāṭah* by Ibn al-Khaṭīb

• *Al-Ṣilah* by Ibn Bashkuwāl

• *Al-Takmilah li-Kitāb al-Ṣilah* by Ibn al-Abbār

• *Al-Dhakhīrah fī Maḥāsin Ahl al-Jazīrah* by Ibn Bassām

These sources were used together to survey examples of female scholars and transmitters, drawing on the language of *ijāzah* and *samāʿ* to assess women's presence in this field

Keywords: Andalusian women, Role of women in Al-Andalus, Scientific life in Al-Andalus, Scholarly authorization (Ijazah), Hadith audition (Sama '), Narratives of Ijazah and Sama ', Biographical dictionaries (Kutub al-Tarajim)

مقدمة البحث:

شكلت الأندلس في العصور الإسلامية منارة حضارية متلألئة، تميزت بنهضة علمية وثقافية واسعة النطاق، شملت مختلف ميادين المعرفة. وفي هذا المناخ الفكري الخصب، لم تكن المرأة الأندلسية مجرد متلقية سلبية أو حبيسة للأدوار النمطية، بل انخرطت بفاعلية في الحراك العلمي، مسجلة حضوراً بارزاً في مجالس العلم وحلقات الدرس. وقد تجلى هذا الحضور بشكل موثق ودقيق من خلال آليتين أساسيتين في التقاليد العلمية الإسلامية: "الإجازة" و"السماع". إن تتبع هذه المرويات لا يكشف فقط عن شغف المرأة الأندلسية بالعلم، بل يبرز أيضاً مدى الرقي الاجتماعي والثقافي الذي سمح لها بمزاحمة كبار العلماء في ميادين التحصيل، وتلقي العلوم من منابعها الأصلية، ثم نقلها وتوريثها للأجيال اللاحقة.

وتكتسب دراسة مرويات "الإجازة" (وهي الإذن بالرواية ونقل العلم) و"السماع" (التلقي المباشر من أفواه الشيوخ) أهمية قصوى في فهم طبيعة الإسهام النسوي؛ فهي تمثل الوثيقة الرسمية التي تثبت الأهلية العلمية للمرأة، وتحدد موقعها في سلسلة الإسناد المتصلة. لقد حرصت البيوتات الأندلسية، سواء من بيوت الإمارة والوزارة أو بيوتات العلم والعامة، على تعليم بناتها وإشراكهن في رحلات طلب العلم محلياً، أو استصدار الإجازات لهن من كبار شيوخ المشرق والمغرب. وهذا يدل على وجود وعي مجتمعي عميق بقيمة تعليم المرأة، حيث برزت أسماء لامعة لمحدثات وفقيهات وأديبات كنّ يروين الصحاح والسنن، ويمنحن الإجازات لطلاب العلم من الرجال والنساء على حد سواء، مما يؤكد أن معايير "التحمل والأداء" الصارمة في ذلك العصر لم تفرق بين الجنسين.

ولما كانت كتب التراجم والطبقات والفهارس هي السجل الحافل والتاريخ الموثق للحركة العلمية، فإنها تُعد المادة الخام والأساس المتين لهذه الدراسة. ورغم أن بعض هذه المصادر قد اتبعت منهجاً يضع تراجم النساء في ملاحق أخيرة تحت مسمى "كتاب النساء"، أو قد تُختصر تراجمهن مقارنة بالرجال، إلا أنها حفظت لنا كنزاً لا يقدر بثمن من الأسانيد والمرويات. فمن خلال استنطاق واستقراء هذه المصادر الأساسية، وعلى رأسها **"تاريخ علماء الأندلس" لأبي الوليد بن الفرضي (ت ٤٠٣هـ)**، وكتاب **"الصلة في تاريخ أئمة الأندلس" لابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ)**، وكتاب **"تكملة الصلة" لابن الأبار القضاعي (ت ٦٥٨هـ)**، بالإضافة إلى **"بغية**

الملتمس" للضبي (ت ٥٩٩هـ)، و"فهرسة" ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥هـ)؛ يمكن للباحث أن يعيد بناء خريطة واسعة للحياة العلمية النسوية، ويتتبع مسارات انتقال المعرفة عبر الوسائط النسائية.

بناءً على ما سبق، تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على الإسهام الحقيقي والفاعل للمرأة الأندلسية في الحياة العلمية، متخذة من مرويات الإجازة والسماع في كتب التراجم حقلاً للتطبيق والاستقصاء. ويسعى البحث إلى تجاوز السرد الوصفي العام إلى التحليل المعمق لطبيعة المواد التي سُمعت وأُجيزت، وتصنيف شيوخ النساء وتلاميذهن، واستخلاص دلالات هذا الحضور النسوي الكثيف. إن الهدف الأسمى لهذا الجهد الأكاديمي هو إجلاء الغبار عن صفحات مشرقة من تاريخنا الحضاري، وإعادة الاعتبار للمرأة الأندلسية كشريك أساسي وموثوق في صناعة الثقافة الإسلامية وحفظ تراثها، وتقديم قراءة منصفة وشمولية لدورها الذي خلدته متون التراجم والأثبات.

المبحث الأول :مكانة المرأة في المجتمع الأندلسي

أولا:مكانة المرأة في المجتمع الاندلسي وعوامل تميزها

كان للعلم أهمية كبيرة في الإسلام وفرض العلم على كل إنسان ومن هنا جاء المنطق وكان تعليم المرأة مسايراً لتعليم الرجل في مختلف أقطار العالم الإسلامي وبخاصة في بلاد المغرب الإسلامي إذ أقر المسلمون بضرورة تعليم النساء وأقروا بحقها في التعلم لتدرك أمور دينها من المعاملات و عبادات فكان بذلك مصدراً مهما في طلب العلم عبر مختلف العصور الإسلامية وقد تلقت المرأة الأندلسية علومها الأولى في البيوت والمساجد والكتاتيب كما كانت منازل العلماء والفقهاء وقصور الخلفاء من أهم الأماكن التي ساهمت في ترقيتها معرفياً سواء على يد والدها أو أحد أقاربها أو مؤدب يقوم في لتعليمها (ابن سعيد المغربي، ١٩٦٤، ص ١٩).

كما كان للبيئة المحيطة دور كبير جدا في رفع مكانة المرأة الأندلسية و رفعة مكانتها إذ حظيت بمنزلة متميزة عن نظيراتها في سائر البلدان العربية الإسلامية مما هيأ لها مجال في المشاركة في تصريف الأمور (ابن الأثير، ١٩٨٩), "وقد تفاوتت هذه المكانة بحسب الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها المرأة فالمرأة التي عاشت في الوسط الأرستقراطي كانت تُعامل نداً للرجل وتنعم بحياة كما هو وهذا الأمر الذي دفع بعضهن أحياناً إلى

الخروج عن الأعراف السائدة التي كانت تقيد حريتهن ويرى بعض الباحثين أن هذا التحرر هو ما أكسب الأندلسيات مكانة كبيرة ولا سيما القرطبيات والإشبيليات كولادة بنت المستكفي ومهجة القرطبية شخصية قوية يضرب بها المثل في المجتمع الأندلسي" (جمعة، ٢٠٠١، ص ٢٩).

ثانياً: إسهامات المرأة الأندلسية في الحياة العلمية

ايضاً برزت للمرأة الأندلسية اسهامات كثيرة في مجالات متعددة كالشعر والأدب والسياسة والطب والصيدلة والهندسة والرياضيات.

الناحيةالسياسية:

اتسمت من الناحية الساسية المرأة الأندلسية بنفوذ واسع في الحياة إذ شاركت الرجل في تدبير شؤون الحكم ومن أبرز الأمثلة على ذلك "صبيحة" زوجة الخليفة الحكم المستنصر (٣٦٠هـ/٩٧٠م) وأم الخليفة هشام التي كانت من أصحاب النفوذ في في الساسية و الإدارة إذ تولت في تدبير شؤون البلاد مستعينة بوكلائعا و بكاتبها الخاص عثمان بن جعفر المصحفي ثم بمحمد بن أبي عامر الذي كان يدير أوامرها ويبلغها إلى مختلف الجهات بعدها عينته مديراً عاماً على الأملاك والضياع سنة ٣٥٦هـ(كحالة، د.ت، ص ٧١). وقد أشركها زوجها في الحكم علانية تقديراً لكفاءتها وبعد وفاته اتسع نطاق تصرفها فعملت على خفض الضرائب الأمر الذي لقي قبولاً واسعاً لدى الرعية حتى غدت تُعرف في المصادر التاريخية بلقب "السلطانة صبح" ومن الشخصيات النسائية المؤثرة سياسياً أيضاً "زينب بنت إسحاق النفزاوية" في العصر المرابطي وهي ابنة تاجر كبير من القيروان نشأت في بيئة اجتماعية متحضرة وتميزت بالحكمة والدهاء حتى فاقة رجال عصرها وقد وصفها ابن الأثير بأنها كانت من أفضل النساء ولها نفوذ في تدبير شؤون البلاد (بلغيث، ٢٠١١، ص ٦٨).

الناحية الاجتماعية:

كان للفتح الإسلامي في الأندلس مدى واسع كانت بدايتة الأولى من حيث حضور المرأة أوائل الفتح الإسلامي حيث اشارت بعض المصادر إلى أن العرب الذين عبروا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية دخلوها رجالاً دون

نسائهم ثم عمدوا إلى الزواج من نساء البلاد الأصليين أن تتبع أخبار الفتح يكشف عن إشارات كثيرة (خيري، ٢٠٢٢، ص ٢٣٧) .

حتى لو كانت شحيحة تدل على مرافقة بعض النساء للفاتحين فقد اصطحب طارق بن زياد جارية له تدعى أم حكيم أنزلها في جزيرة نسبت إليها فيما بعد باسم "جزيرة أم حكيم"، وهذا ما يستبعد ان تكون الوحيدة بين صفوف الجند(الشافع، ٢٠٠٦، ص ٣٨) .

يتضح من هذ قد تكون أن أم حكيم ربما كانت أول امرأة مسلمة تطأ أرض الأندلس وأن نساء موسى بن نصير وبناته كن من السابقات اللواتي دخلن معه دون استبعاد أن يكون بعض القادة وكبار رجال القبائل قد اصطحبوا عائلاتهم كذلك (الدرويش، ٢٠١٦، ص ٩٥). ويؤكد ذلك ما استقر عليه بعض القبائل من الاستيطان بعوائلها الكاملة وقد ذكر ابن حزم استقرارهم شمال قرطبة محافظين على عروبتهم ولغتهم حتى عصره كما جرت العادة عند المسلمين على اصطحاب الجند لعائلاتهم في الغزوات كان هذا لا ينطبق على جميع الفاتحين إذ دخل كثيرون لا يحملون سوى سلاحهم (الشافع، ٢٠٠٦، ص ٤٢).

وايضاً كان للمصاهرة اثر كبير من ناحية الاجتماعية إذا شكلت المصاهرات بين الفاتحين ونساء البلاد الأصليين ظاهرة اجتماعية بارزة ابان الفتح قد ساعد على انتشارها ما آل إلى المسلمين من سبايا وأموال فأقبل الناس على الزواج منهن(ابن بسام، ٢٠٠٠، ص ١٨٧) .

حيث يعد زواج عبد العزيز بن موسى من أبرز هذه الزيجات إذ أرسى بذلك أسس التزاوج بين الفاتحين وأبناء البلاد الأصليين محافظاً على دينه وقد أسهمت هذه السياسة في تمتين الروابط بين الفاتحين والسكان الأصليين (ابن بشكوال، ١٩٨٩)

حيث انتج هذا عن الامتزاج جيل جديد عُرف بـ"المولّدين" (أرسلان، ١٩٣٦، ص ٢٥٦)، كان له دور بارز في الحياة الاجتماعية و السياسية في عصر الإمارة كما أدت المرأة دوراً في التقريب بين المتنافسين السياسيين وخصومهم إما بالمصاهرة بالنسبة للحرائر أو بالإهداء بالنسبة للجواري (بلغيث، ٢٠١١، ص ٧٢).

دور المرأة في المجال العلمي في الأندلس

شهدت الأندلس ازدهاراً علمياً كبير ساهم في تحقيقه عوامل عدة أبرزها التراث الفكري الذي خلفه الحكام الأمويين الذين كانوا يعرفون بإقبالهم على المعرفة ورعايتهم للعلماء فهذا شكل في عصري الإمارة والخلافة

بقرطبة زدهار كبير كما ساهم تعدد المراكز الثقافية تبعاً لتعدد الحكومات في إحداث تفاعل حضاري بين مختلف الأقاليم(ابن بسام، ١٩٧٩، ص ٢٤٦) .

"وقد حرص ملوك الطوائف على استقطاب العلماء والأدباء من مختلف البلدان الإسلامية من أجل استحداث تفاعل ثقافي وحضاري بين مختلف بلاد العالم الإسلامي والأندلس (أبو داود، ٢٠٠٢).

وقد كان المرأة الأندلسية دور بارز في تميز المجتمع الأندلسي عن غيره من المجتمعات الإسلامية إذ تمتعت بقدر من الحرية في الحركة والمشاركة العلمية يفوق ما كان لنظيراتها في المشرق فلم تنأَ عن ساحة النشاط العلمي بل نالت نصيباً وافراً من العلم والمعرفة وسمح لها المجتمع بممارسة أنشطة دينية واجتماعية وثقافية بحرية" (المقري، د.ت، ج٤، ص ١٦٦؛ الشافع، ٢٠٠٦، ص ١٣١) .

اولاً:اثر السياق العام في مكانة المرأة العلمية:

ارتبط ازدهار الحياة العلمية للمرأة الأندلسية في عصر ملوك الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ) بجملة من الظروف السياسية والاجتماعية التي عرفتها البلاد آنذاك في نهاية الخلافة الأموية وتحول الأندلس إلى دويلات متعددة ساهم ذلك على نحو غير مباشر إلى نشوء تنافس فكري بين الحكام وهذا ما أتاح تعدد المراكز الثقافية وتنقل العلماء بينها وقد انعكس هذا على واقع المرأة الأندلسية إذ صار حضورها في المجالس العلمية والأدبية أمراً مهماً في كثير من الحواضر كما تنقلت كثير منهن بين المدن طلباً للعلم(مكي، ١٩٨٠، ص ٨٩) .

ثانياً: تعليم المرأة

قامت كثير من الأسر الأندلسية على الاهتمام في تعليم الفتيات في مراحله الأولى والاهتمام على تعليمهم حيث برز في ذلك الوقت الكثير من النساء اللواتي مارسن تعليم من بيوتهم ومن الأمثلة على ذلك ابنة فايز القرطبي (ت ٤٦٦هـ) التي درست على يد والدها ثم أكملت تحصيلها العلمي بعد زواجها من أبي عبد الله بن عتاب غير أن تعليم المرأة لم يقتصر على الإطار الأسري إذ جرت العادة أن يعهد حكام الأندلس بتربية بناتهم وحاشيتهم إلى معلمات متخصصات في تعليمهم كما فعل المعتصم بن صمادح حاكم المرية مع ابنته التي برعت لاحقاً في نظم الشعر والأدب وقد اضطلعت بعض النساء بدور تعليمي بارز منهن مريم بنت يعقوب الأنصاري التي أسهمت في تعليم نساء الأندلس. (الحميدي، ١٩٦٦، ص ٩٧)

وقد أسهمت المرأة الأندلسية في هذا العصر في خدمة العلوم الدينية من جوانب عدة حيث عرفت ابنة فايز القرطبي بتلاوتها للقرآن أمام القارئ أبي داود البلنسي في بلنسية سنة ٤٤٤هـ، وبمعرفتها بعلم التفسير الذي أخذته عن والدها كما وبرزت في هذا المجال أيضاً طونة بنت عبد العزيز بتلاوة القرآن كما اشتهرت نساء الأندلس بجودة الخط ودقته في نسخ المصاحف الشريفة وايضاً ظهر اهتمام مبكر بدراسة الحديث و الفقه هذا ما ساهم في دور المرأة في المجال العلمي في شكل مختلف (عباس، د.ت، ص ١٦٦) .

المبحث الثاني:الاجازات والسماع في كتب تراجم

أبرز النماذج النسائية التي وردت في هذه المرويات:

فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي: أخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامي كانت نموذجاً في الحضور العلمي للمرأة الأندلسية في كتب التراجم إذ اتفقت المصادر اطلعنا عليها الذي كان كتاب الصلة من أبرزها و"بغية الملتمس" للضبي على وصفها بأنها كانت خيرة عالمة فاضلة وفقيهة عاشت في قرطبة وبها توفيت سنة تسع عشرة وثلاثمائة للهجرة (ابن بشكوال، د.ت، ج٢، ص ٣٤٢؛ الضبي، ١٩٦٧، ص ٥٤٧) إذا تم دفنها بالربض حيث أن جنازتها حظيت باحتفاء كبير لم يشعد مثله لامرأة من قبلها إذ تولى الصلاة عليها من قبل الفقهاء مثل محمد بن أبي زيد حيث نالت المكانة الرفيعة التي بلغتها بين علماء عصرها وعامة الناس على حد سواء (أرسلان، ٢٠٠٨، ج٢، ص ٣٦٥).

لبنى كاتبةَ الخليفةِ الحَكَم المستنصر باللهِ بن عبد الرحمن الأموي: قد تفقت اغلب المصادر على وصفها بشكل متقارب في نقل هذه الشخصية فقد ذكرَ ابنُ بشكوال في "الصلة" أنها كانت حاذقة بالكتابة شاعرة ونحوية عالمة بالحساب والبصيرة مشاركة في علوم كثيرة حسنة الخط ولم يكل في قصر الخليفة انبل منها(ابن بشكوال، د.ت، ج٢، ص ٣٤٣؛ الضبي، ١٩٦٧، ص ٥٤٦) حيث نقل الضبي عنها الوصفَ ذاتَه تقريبًا معتمدًا على ابن بشكوال "أما الصفدي فقد أضاف إلى هذه الصفات أن خطها كان مليحا وأن معرفتها بالعروض كانت تامة في علوم كثيرة وهو وصف يتفق مع ما وردة عن الذهبي ايضاً وذكر الزركلي أن أصلَها كان من الجواري", (الصفدي، ٢٠٠٠، ج٢٤، ص ٢٩٨) وأنها كانت عالمة في اللغة العربية والأدب إلى جانب إتقانِها الكتابةَ والحساب والانشاء(الذهبي، د.ت، ج٢٧، ص ٣٠٧) .

حيث اختلفت المصادر في تاريخ وفاتها إذ ذكر ابن بشكوال وضبي ان وفاتها في سنة أربع وسبعين وثلاثمئة (٣٧٤هـ) بينما ذهب الزركلي إلى أن وفاتها كانت سنةَ أربع وتسعين وثلاثمئة (٣٩٤هـ) (ابن بشكوال، د.ت، ج٢، ص ٣٤٣؛ الزركلي، ١٩٨٠، ج٥، ص ٢٣٩) وهذا يوضح إلى اختلاف الروايات التي اعتمد عليها كل المؤرخين

و تعد لبنى بذلك نموذجًا بارزًا للمرأة الأندلسية التي جمعت بين إتقان فنون الكتابة والنحو والعروض والحساب وبلغت منزلة رفيعة في البلاطِ الأموي بقرطبة حتى غدت كاتبة للخليفة وهذا ما يعكس حضور المرأة في الحياةِ العلمية والإداري في مجتمع الأندلس (عبد الشافي، د.ت، ص ٣٧١).

"**مزنة كاتبة الأمير الناصر لدين الله** : كانت من النساء الحاذقة في الخط وكانت أديبة حسنة الخط ترفيت سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة". (ابن بشكوال، د.ت، ج٢، ص ٣٤٣؛ الضبي، ١٩٦٧، ص ٥٤٦)

نزهون الغرناطية:

وهي شاعرة وأديبة من اهل غرناطة اشتهرت بسرعتها البديهة وحضورِ الجواب كانت حافظة للأشعار وأمثال العرب ولم يكن من يضاهيها في ظروفها وأبدها حيث سمعه الأدب عن أبي بكر المخزومي الاعمى (الضبي، ١٩٦٧، ص ٥٤٦؛ ابن الأبار، د.ت، ج٣، ص ٣٠٣), وكان لها مجالس ادبية يرتد اليها العقلاء والأفاضل حيث عرفت بمسجلاهتها الشعرية ومطارحتها مع أدباء عصرها (المقري، د.ت، ج١، ص ١٦١؛ فواز، د.ت، ص ٨٠٣).

خديجة بنت جعفر بن نُصَير (ابن التّار) التميميّة (الأعلمي، د.ت، ج٢، ص ٤٠)

أديبة شاعرة فاضلةٌ عالمة أندلسيةٌ زوج الفقيه عبدِ الله بن أسد روت عن زوجِها "موطّأ القعنبي" قراءة عليه بلفظها من أصله وقيدت سماعها لهذا الكتاب بخط يدِها سنةَ أربعٍ وتسعينَ وثلاثمئة (٣٩٤هـ) وقد وقفت كتبًا كثيرةً من مكتبتها على ابنتها ابنة أبي محمد بن أسد الفقيه(ابن بشكوال، د.ت، ج٢، ص ٣٤٤).

ولّادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر عبد الرحمن بن محمد: "

وهي أديبة و شاعرة جزلةُ القولِ حسنةُ الشعرِ مطبوعتة كانت واحدة زمانها والمشار إليها في أوانها تخالط الشعراء وتساجل الأدباء وتفوق البرعاء حسنة المحاضرة مشكورة المذاكرة (ابن الأبار، ١٩٥٦).

وصفَ أبو عبد الله بن مكّي نَباهتَها وفصاحتها وحرارة بديهتها وجزالة منطقها وذكر أنه لم يكن لها تصاوُن يطابق شرفها مع كونها في الوقت نفسه مشهورة بالصيانةِ والعفاف".(ابن بشكوال، د.ت، ج٢، ص ٣٤٧)

كانت تكتب الشعرَ بالذهب على أطراف ثيابِها (الطراز)، فكتبتْ على الطرازِ الأيمنِ بيتًا تفخرُ فيه بنفسِها وتَتيهُ بمكانتِها، وعلى الطرازِ الأيسرِ بيتًا في وصفِ جمالِها وعِشقِها. وفيها خلعَ الشاعرُ ابنُ زيدون عِذارَه، ونظمَ فيها القصائدَ الطنّانةَ والمقطّعاتِ، منها قصيدتُه النونيّةُ (الضبي، ١٩٦٧، ص ١٣٢) المشهورةُ التي مطلعُها بنتم. "ولمّا شعرَت بميلِه إلى جاريتِها السوداء عاتبَتْه بأبياتٍ لاذعةٍ تُوبخه فيها على إيثارِ الجاريةِ عليها، ولقّبتْه بـ"المُسدَّس" في أبياتٍ هجائيّةٍ قاسيةٍ ردًّا على تحوّلِ عاطفته" (المقري، د.ت، ج٥، ص ١٣٣)

توفيت يوم الأربعاء لليلتين خلتا من صفر سنة أربع وثمانين وأربعمئة (٤٨٤هـ) (الكتبي، د.ت، ج٤، ص ٢٥١)

حمدة بنت زياد بن بقي العوفي (الوادي آشية) (ابن بطوطة، د.ت، ج٤، ص ٢٢٠).

كانت شاعرة أديبة من أهل وادي آش من العوفيين (بالفاء) المؤدب ذكرها ابن الأبار في ووصفها بأنها إحدى المتأدبات المتصرفات المتغزلات المتعففات حدثت عن أبي الكرم جودي بن عبد الرحمن الأديب وقد روي عنها أنّها أنشدت لأبي القاسم بن البراق فقالت فيه شعراً (الصفدي، د.ت، ج١٣، ص ١٠١).

وذكرت المصادر أيضا إلى أنها كانت بحضرة إشبيلية وقد رفعت إلى الخليفة بيت شعر تطل به عليه مما يدل على حضورها الأدبي في البلاطِ الموحدي ومكانتها بين شاعرات الأندلس(الضبي، ١٩٦٧، ص ٥٤٥) .

عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية(أبو داود، ٢٠٠٢، ج١، ص ٦٢)

كانت مع عالمات عصرها وصفت بان لم يكن في حرائر الأندلس مثلها بل في جزائرِ الأندلسِ كافّة من حيث علمها وفهمها وأدبها وفصاحة شعرها وكانت تخاطب ملوك الأندلس وتمدحهم في شعرها وكانت في مكانة لم يصلها احد من أدباء عصرها(ابن بشكوال، د.ت، ج٢، ص ٣٤٣؛ الصفدي، د.ت، ج١٦، ص ٣٤٧) "وكانت حسنةَ الخطِّ، تكتبُ المصاحفَ والدفاترَ وتجمعُ الكتب، ولها خزانةُ علمٍ كبيرةٌ حسنة، مع غنًى وثروةٍ أعانتاها على المروءة. توفّيتْ عذراءَ لم تُنكَحْ قطُّ سنةَ أربعمئة (٤٠٠هـ)، وذكرَ ابنُ حيّان أنّه رأى لها شعرًا موجَّهًا إلى بعضِ (المقري، د.ت، ج٥، ص ٢٠٨).

مريم بنت أبي يعقوب الفصوليّ الشَلَبيّة (الحاجّة)

كانت نشأتها في شلب ثم انتقلت ثم للإقامة في إشبيلية حيث ذاعت شهرتها بعد سنةِ أربعمئة (٤٠٠هـ) وعرفت بالأدب والشعر الجزل المشهور "وإن شابَ تراكيبَ نظمِها بعضُ الضَّعف كرَّستْ جانبًا من حياتِها لتعليمِ النساءِ الأدب مع احتشام وتدين وفضلٍ ظاهر وامتد بها العمر طويلاً حتى بلغَت سنا متقدّمة وتوفيت بعد ذلك بمدة "(الحميدي، د.ت، ص ٦٠٠).

وصف أصبغ بن سيد الإشبيلي حالها في شيخوختها بأبيات يصور فيها ضعفها على العصا(فروخ، د.ت، ج٤، ص ٣٥٠) كالأسيرِ المُقيَّد ومن طريف أخبارِها أنّ ابنَ المُهَنَّد أرسلَ إليها دنانيرَ مصحوبةً بأبياتٍ يُشيدُ فيها بمكانتِها الأدبيّةِ والأخلاقيّة، مُشبِّهًا إيّاها بمريمَ العذراءِ في العفةِ وبالخنساءِ في الشعر(الضبي، د.ت، ص ٥٤٤)".

صفيّة بنت عبد الرّبّ

اشتهرت بالأدب والشعر وعرفة بجودة خطها "روى أبو محمد بن حزم عن أبي عبد الله محمد بن سعيد بن جرج شعرًا نظمَتْه صفيةُ ردًّا على امرأةٍ انتقدَتْ خطَها، إذ طلبَتْ منها أن تَكُفَّ عن عيبِها واعدة إيّاها بأن تُريَها من نظمِها ما يُوازي جمالَ سطورِها، ثم استدعتْ يدَها لتُبرِزَ مهارتَها، وأعدتْ أقلامَها وأوراقَها ومِحبرتَها، فخطَّتْ ثلاثة أبياتٍ إثباتًا لِما ادّعَتْه (الضبي، د.ت، ص ٥٤٣)".

كانت وفاتها في أواخرِ سنةِ سبعَ عشرةَ وأربعمئة (٤١٧هـ) ولم تكن قد بلغك الثلاثين من عمرها بعد(ابن بشكوال، د.ت، ج٢، ص ٢٤٣).

الخاتمة:

يخلص هذا البحث إلى أن المرأة الأندلسية لم تكن بمعزل عن الحركة العلمية التي عرفتها الأندلس عبر مختلف عصورها بل شكلت حلقة فاعلة ضمن منظومة النقل العلمي القائمة على الإجازة والسماع وهو ما وثقته كتب التراجم التي اعتمد عليها البحث وفي مقدمتها "الصلة" لابن بشكوال و"التكملة" لابن الأبار، اللذان أفردا للعالمات والراويات تراجم تكشف عن شيوخهن وتلاميذهن ونوع ما تلقينه من إجازة أو سماع. وتبقى الإشارة إلى أن هذا الموضوع رغم ما تناوله من جوانب ما يزال يحتمل مزيداً من الدراسة والتعمق ويفتح الباب أمام أبحاث لاحقة تتناول مقارنة حضور المرأة في الإجازة والسماع بين الأندلس والمشرق الإسلامي أو تتبع أثر هذا الحضور في استمرار سلاسل النقل العلمي عبر الأجيال.

المصادر

١. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت ٦٥٨هـ): تكملة الصلة.
٢. ابن الأبار، محمد بن عبد الله. (د.ت). التكملة لكتاب الصلة (ج٣). بيروت: دار الكتب العلمية.
٣. ابن الأثير، عز الدين الجزري. (١٩٨٩). الكامل في التاريخ (ط٤، ج١). بيروت: دار الكتاب العربي.
٤. ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي (ت ٧٠٨هـ): صلة الصلة (يمكن إضافته كمصدر مكمل لتراجم العصر المتأخر).
٥. ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت ٤٠٣هـ): تاريخ علماء الأندلس (تحديداً الجزء الأخير المخصص لتراجم النساء).
٦. ابن بسام، علي بن بسام الشنتريني. (٢٠٠٠). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (تحقيق إحسان عباس، ط١). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٧. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس.
٨. ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك. (٢٠١٥). الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم (تحقيق بشار عواد معروف، ج٢). تونس: دار الغرب الإسلامي.
٩. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله. (د.ت). رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) (ج٤، تحقيق عبد الهادي التازي). الرباط: أكاديمية المملكة المغربية.
١٠. ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير (ت ٥٧٥هـ): فهرسة ابن خير الإشبيلي (مهم جداً لتتبع سلاسل السماع والإجازات).

١١. ابن سعيد المغربي، علي بن موسى. (١٩٦٤). المغرب في حلى المغرب (ج٢، تحقيق شوقي ضيف، ط٢). القاهرة: دار المعارف.
١٢. أبو داود، سليمان بن نجاح. (٢٠٠٢). مختصر التبيين لهجاء تنزيل (ج١). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد.
١٣. أرسلان، شكيب. (١٩٣٦). الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية (ط٢). فاس.
١٤. الأعلمي، محمد حسين. (د.ت). تراجم أعلام النساء (ج٢). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٥. بلغيث، محمد الأمين. (٢٠١١). دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي (ط١). الجزائر: دار التنوير.
١٦. جمعة، أحمد خليل. (٢٠٠١). نساء من الأندلس. بيروت: دار اليمامة للنشر والتوزيع.
١٧. الحميدي، محمد بن أبي نصر. (١٩٦٦). جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. القاهرة: مطابع سجل العرب.
١٨. خيري، خديجة عبد الكريم. (٢٠٢٢). المرأة الأندلسية ودورها الثقافي في عهد ملوك الطوائف. المجلة التاريخية الجزائرية، ٦(٢).
١٩. الدرويش، جاسم ياسين. (٢٠١٦). دور المرأة في الحياة الاجتماعية في الأندلس. مجلة جامعة البصرة، ٤١(٤).
٢٠. الذهبي، شمس الدين. (د.ت). تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام (ج٢٧). بيروت: دار الكتاب العربي.
٢١. الزركلي، خير الدين. (١٩٨٠). الأعلام (ط٥، ج٥). بيروت: دار العلم للملايين.
٢٢. الصفدي، صلاح الدين. (٢٠٠٠). الوافي بالوفيات (ج٢٤، تحقيق زكي مصطفى). بيروت: دار التراث العربي.
٢٣. الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد (ت ٥٩٩هـ): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس.
٢٤. الضبي، أحمد بن يحيى. (١٩٦٧). بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. القاهرة: دار الكاتب العربي.
٢٥. الطاهر مكي. (١٩٨٠). دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة. القاهرة: دار المعارف.
٢٦. العاملي، زينب فواز. (د.ت). الدر المنثور في طبقات ربات الخدور. بيروت: مؤسسة الريان.
٢٧. عباس، فائزة حمزة. (د.ت). صور من إسهامات المرأة الأندلسية في الحياة الثقافية. مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، ٣(٣).
٢٨. عبد الشافي، محمد. (د.ت). السيرة النبوية وتاريخ الإسلام. القاهرة: دار السلام.
٢٩. الكتبي، محمد بن شاكر. (د.ت). فوات الوفيات وذيل عليها (ج٤، تحقيق عباس إحسان). لبنان: دار صادر.
٣٠. كحالة، عمر رضا. (د.ت). أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام (ج١). بيروت: مؤسسة الرسالة.
٣١. المقري، أحمد بن محمد التلمساني. (د.ت). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (ج١). بيروت: دار الفكر.
٣٢. ابن الأبار القضاعي، محمد بن عبد الله. (ت ٦٥٨هـ). تكملة الصلة.

ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك. (ت ٥٧٨هـ). الصلة في تاريخ أئمة الأندلس.